الم ُسامحة.. قوة واقتدار وتصميم



◄قال تعالى: (وَلَمَن ْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِن ۖ ذَلَلُكَ لَمَن ْ عَز ْمِ الأَمُورِ) (الشوري/ 43). عبارة (عزم الأمور) إشارة إلى العمل الذي أمر ا□ تعالى به، ولا يمكن أن يُنسخ، وقيل إنَّه من الأعمال التي يجب أن يشدَّ الإنسان العزم لها. ومجيء (الصبر) قبل (الغفران) في الآية دليل على أنَّ العفو والغفران لا يمكن أن يحصلا بدون الصبر؛ لأنَّه مع افتقاد الصبر يفقد الإنسان سيطرته على نفسه ويحاول الانتقام مهما كان، فالصّبر هو الآلة التي ينجز بها فضيلة (المُسامحة). فالمُسامحة تتطلُّب قوَّة واقتدارا ً وتصميما ً (عزم الأمر) لإنجازها، لأنَّها ليست حلية تـُلبَس أو زينة يـُتزيِّن بها، بل هي (مـَلـَكـَة) يجب أن تتوفِّر في سبيل استحصالها قوَّة ُ عزيمة واستشعار ُ واستحضار ُ لكلِّ القِيبَم التي تُشكَّ ِل منظومة التسامح كقيمة كلِّية أو شمولية. والتسامح من (عزم الأمر)؛ لأنَّه ارتفاع بالموقف عن النوازع الذاتية التي تـُحرِّ كها العوامل الغريزية، واتِّ مال العزم بالصبر والإرادة لإنتاج الم ُسامحة هو مقد ّمة ضرورية، وبمعنى آخر، إذا أردنا أن نكون من حزب المصالحين، فلابد ّ من تعلَّم الصبر أوَّلاًّ لنتمكَّن من السيطرة على النفس التوَّاقة إلى الانتقام والمنازعة إلى حبَّ التشفِّي في حالات الشتم والإهانة والإساءة، فهي إن تُركت على هواها داوت الألم النفسي بالهياج النفسي، وإن تعاطت عقار الصبر عالجت ألمها بدون المشرط والسِّيكِّين، فالعفو عند المقدرة يتطلُّب عقار (الصِّبر). يقول تعالى: (و َإِذَا ماَ غَصَـبُوا هـُم° يَغ ْفِرِ ُون َ) (الشوري/ 37). وفي الحديث والسيرة: "ما انتقم النبيِّ (ص) لنفسه قطٌّ، إلا

أن تُنته َك حُرمات الله عُرْيُ ولا تعارض أو تنافي بين هذا وبين قوله تعالى: (و َالله َدِينَ فِي الله وَرَّ الله ورَّ الله ورَّ الله ورَّ الله ورَّ الله ورَّ الله ورَّ الله ورسوله والطغيان والعدوان، ولذلك اعتبر الانتصار عند البغي واجبا وفضيلة؛ لأن التذليل لم َن بغي واستعلى وأفسد يتنافي مع عزة المؤمنين. يقول سي ّد الشهداء الإمام الحسين بن علي (ع) في إبائه للشي م: "يأبي الله النا ذلك ورسوله والمؤمنون وح ُج ُور ُ طاب َت وط َه ُر َت وأن وُونُ حمي ّة ُ ون ُفوسُ أبي ق أن نؤو ثدر طاع َة َ الله ين على عرام "!. ويقول (الرازي) في تفسيره: العفو

الأوّل: أن يكون سببا ً لتسكين الفتنة، وتهدئة النفوس، ورجوع الجاني عن جنايته، وهذا محمود، تُحمل عليه آيات العفو، مثل: (و َأَن ْ ت َع ْف ُوا أ َق ْر َب ُ ل َلتّ َق ْو َى) (البقرة/ 237). وهذا مرغوب ٌ فيه داخل الأ ُمّة الواحدة.

الثاني: أن يكون سببا ً لتجرَّؤ الظالم وتماديه في غيِّه واستضعافه الأُمَّة، وهذا مذموم، تح ُمل عليه آيات الحثّ على الانتقام، وهو واجب في مقاومة العدوّ الخارجيّ، وعند اغتصاب الحقوق.

لقد كان رسول ا□ (ص) — كما كان أخوه يوسف (ع) من قبل — قادرا ً على الانتقام والفتك بق ُريش، أو مؤاخذتهم، ومقابلتهم على صنيعهم الم ُخزي، لكن عفا عن أهل مك ق بعد فتحها لي ُدش ّن عهدا ً جديدا ً من الرحمة والتراحم والس للم والم ُسالمة والص سلمة والم سامحة لي ُعب ّد بذلك الطريق إلى بناء الدولة. وعفا (ص) عن أولئك الن فر الثمانين الذين قصدوه عام الح ُديبية، ونزلوا عن جبل الت عيم، فلم الم قدر عليهم م َن عليهم بالعفو مع قدرته على الانتقام. وعفا (ص) عن (غورث بن الحارث)، الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه (سيف النبي (ص)) وهو نائم، فاستيقظ (ص)، وسيفه في ي َد ِ ابن الحارث م م م لتا أراد الفتك به حين اخترط سيفه (سيف النبي (ص)) وهو نائم، فاستيقظ (ص)، وسيفه في ي َد ِ ابن الحارث عورث: ح لله م له أن ي أنق ذك من ي من ي أنق ذك من ي أنق ذك أمن ي أنق أن الخيري ")، التي سم ت الذراع يوم خيبر، فدعاها فاعترفت، فقال (ص): ما حملك على هذا؟ قالت: أردت أن أعرف إن كنت نبياً الم يضر "ك، وخلامة القول في أن "الم سامحة من (عزم الأمور) هو أن " م من يصبر على مات حيد ذلك — من س م س ي التي أمر بها، ومن عزائم السواب التي و ُف ق ق لها. ح